الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيجل

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات مقياس معاجم المعاني، لسانيات عربية، ماستر: 1، 2023-2024

د شعيب حبيلة

المحاضرة العاشرة: كتاب الألفاظ لابن السكيت بوصفه مصدرا من مصادر المخصص

أدرنا هذه المحاضرة على معجمين اثنين هما كتاب الألفاظ لابن السكيت (ت 244 هـ) والمخصص لابن سيدة، واخترنا أن نبتدئها بقراءة مصطلحية في مقدمة المخصص لابن سيدة من حيث هي أكثر مقدمات معاجم المعاني اتساقا مع ما تطلبه الصناعة المعجمية الحديثة من جهاتٍ شتى، أهمها: ذكر المصادر، وذكر المنهج في الترتيبين الخارجي والداخلي، وذكر مواضع التجديد، فضلا عن المقدمات اللغوية العامة.

1- قراءة في مقدمة المخصص:

نعرض جملة فقرات من مقدمة المخصص؛ لأجل بيان تأثر ابن سيدة في مؤلفه هذا بالمنطق الأرسطي أيما تأثر، لقد أوضحنا في المحاضرة الملقاة معاني المصطلحات التي استعملها وعلاقتها

د شعيب حبيلة معاجم المعاني 2023-2024

بالمنطق، ثم علاقتها بالشرح المعجمي؛ فضلا عن الإشارة إلى تصحيفٍ وقع في مصطلحٍ من مصطلحات هذه المقدمة من قبل المحققين.

ملحوظة: لا تغفل عن السبب الذي جعلنا نقارن المخصص بكتاب الألفاظ في هذه المحاضرة، والمخصص بالغريب المصنف في المحاضرة السابقة، أي كوننا نوثق لبداية التأليف في معاجم المعاني بهما، وكون المخصص يمثل المنتهى أو الغاية في هذا الباب.

النص الأول:

"الحَمد لله المميت ذِي الْعِزَّة والملكوت ملهم الأذهان إِلَى الِاسْتِدْلَال على قدمه ومعلمها أَن وجوده لم يَك وَاقعا بعد عَدمه ثمَّ معجزها بعظيم قدرته على مَا منحها من لطيف الفكرة ودقيق النّظر وَالْعبْرَة عَن تَحْدِيد ذَاته وَإِدْرَاك مجولاته وَصِفَاته".

النص الثاني:

وعليهم أجمعين. أما بعد فإن الله — عز وجل — لما كرم هذا النوع الموسوم بالإنسان وشرَّفه بما آتاه من فضيلة النطق على سائر أصناف الحيوان، وجعل له رسمًا يميزه وفضلًا يبيِّنه على جميع الأنواع فيحوزه أحوجه إلى الكشف عما يتصور في النفوس من المعاني القائمة فيها المُدركة بالفكرة، ففتق الألسنة بضروب من اللفظ المحسوس؛ ليكون رسمًا لما تصور وهجس من ذلك في النفوس، فعلمنا بذلك أن اللغة اضطرارية وإن كانت موضوعات ألفاظها اختيارية، فإن الواضع الأول المسمَّى للأقل جزءًا وللأكثر كلًّا وللَّون الذي يفرِّق شعاع البصر فيبثه وينشره بياضًا، وللذي يقبضه فيضمُّه ويحصره سوادًا، لو قَلَب هذه التسمية فسمَّى الجزء كلًّا والكل جزءًا والبياض سوادًا والسواد بياضًا لم يخلَّ بموضوع، ولا أوحش أسماعنا من مسموع.

د شعيب حبيلة معاجم المعاني 2023-24

النص الثالث:

"وَنحن مَعَ ذَلِك لَا نجد بدا من تَسْمِيَة جَمِيع الْأَشْيَاء لتحتاز بأسمائها ويمتاز بَعْضهَا من بعض بأجراسها وأصدائها كَمَا تباينت أول وهلة بطباعها وتخالفت قبل ذَلِك بصورها وأوضاعها وَنِعما مَا سددت الْحُكَمَاء إِلَيْهِ فِي ذَلِك من دَقِيق الْحِكْمَة ولطيف النّظر والصنعة لما حرصوا عَلَيْهِ من الْإِيضَاح وأغذوا إِلَيْهِ من إِيثَار الْإِبَانَة والإفصاح".

النص الرابع:

" لما وضعت كتابي الموسوم بالمحكم مُجَنَّسا لأدُلَّ الباحث على مَظَنَّة الْكَلِمَة الْمَطْلُوبَة أردْت أَن أعدل بِهِ كتابا أَضَعهُ مُبَوَّباً حِين رَأَيْت ذَلِك أجدى على الفصيح المدره والبليغ المُفَوَّه والخَطيب المصقع والشاعر الْمجِيد المدقع فَإِنَّهُ إِذا كَانَت للمسمى أَسمَاء كَثِيرَة وللموصوف أَوْصَاف عديدة تنقى الْخَطِيب والشاعر مِنْهَا مَا شاءا واتسعا فِيمَا يحتاجان إِلَيْهِ من سجع أَو قافية على مِثَال مَا نجده نَحن فِي الْجَوَاهِر المحسوسة كالبساتين تجمع أَنْوَاع الرياحين فَإِذا دَخلهَا الْإِنْسَان أهوت يَده إِلَى مَا استحسنته حاستا نظره وَشمه. فَأَما فَضَائِل هَذَا الْكتاب من قبل كَيْفيَّة وَضعه فَمِنْهَا تَقْدِيم الْأَعَمّ فالأعم على الْأَخَص فالأخص والإتيان بالكليات قبل الجزئيات والابتداء بالجواهر والتقفية بالأعراض على مَا يسْتَحقّهُ من التَّقْدِيم وَالتَّأْخِير وتقديمنا كم على كَيف".

شعيب حبيلة معاجم المعاني 2023-2024

ملحوظة: لا تغفل عن مصطلحي الكتاب المبوب، والكتاب المجنس، ولا تغفل عن استعارة البساتين، وحاول أن تستحضر علاقة العموم والخصوص بالترتيب والشرح المعجميين.

2- مصادر المخصص:

نص ابن سيدة على مصادره في المقدمة، قال: "فأمَّا مَا نثرتُ عَلَيْهِ من الْكتب فالمصنف وغريب الحَدِيث لأبي عبيد وَغَيره وَجَمِيع كتب يَعْقُوب كالإصلاح والألفاظ وَالْفرق والأصوات والزبرج والمكني والمبني وَالْمدّ وَالْقصر ومعاني الشّعْر وكتاباً ثَعْلَب الفصيحُ والنوادر وكتاباً أبي حنيفَة فِي الأنواء والنبات وَغير ذَلِك من كتب الْفراء والأصمعي وَأبي زيد وَأبي حَاتِم والمُبَرّد وكُراع والنَّضر وَابْن الْأَعرَابِي واللحياني وَابْن قُتَيْبَة وَمَا سقط إِلَيّ من ذَلِك وَأما من الْكتب المُجَنَّسة فالجمهَرة والعَينُ وَهَذَا الْكتاب الموسوم بالبارع صَنْعَة أبي على إِسْمَاعِيل بن الْقَاسِم القالي".

والحق أن أكثر نقله عن ثابت بن أبي ثابت، وأبي عبيد، بيد أننا أشرنا إلى أنه خصَّ ابن السكيت بذكر جميع كتبه؛ لما له من مركزية في التأليف اللغوي زمنه.

ملحوظات:

- ✓ المراد بـ (الإصلاح) كتاب (إصلاح المنطق) وهو من كتب الصواب اللغوي.
- ✓ ناقشنا الأصل المخطوط للمخصص وإشكالة الحرم، فراجعها.
- ✓ ناقشنا سياق تأليف معجمي المحكم والمخصص، والحكم بأن التأليف فيهما كان متزامنا.

شعيب حبيلة معاجم المعاني 2023

3- كتاب الألفاظ لابن السكيت:

1.3 في وصف المعجم:

ناقشنا في هذا المبحث جملة مسائل هي:

- كون كتاب الألفاظ معجما موضوعيا وجيزا (500 صفحة) اشتمل على 148 فصلا. ولم يشتمل على مقدمة؛ لكنه روي بأسانيد علماء كثر (من طريق الاستملال [من الإملاء]).

- ابتداء المعجم بباب الخصب والغنى وانتهاؤه بباب في الكلام المهموز.

- ناقشنا نقله عن الأصمعي.

- أشرنا إلى عنايته بالاشتقاق والتأثيل وبالعبارات السياقية:

مثال الأمثال والعبارات السياقية: "ومنه يقال في المثل: "حال الجريض دون القريض" أي: حال الموت دون قول الشعر" [الألفاظ، ص 332]

مثال عن التأثيل: "وسجو الليل: إذا غطى الليل النهار. يقال: هو من التسجية كقولك: سجيته بثوبه" [الألفاظ، ص 305].

شعيب حبيلة معاجم المعاني 2024-2023

نموذج من كتاب الألفاظ لابن السكيت:

"باب العَقل والحَزم: الأصمعيُّ: يقالُ: إنّه لأصيل من قوم أصلاء، بين الأصالة. ويقال: رأي أصيل، أي: له أصل. ويقال: جدعه الله جدعا أصيلا، أي: استأصله ... وإنه لذو حصاة: إذا كان يكتم على نفسه، ويحفظ سره. والحصاة: العقل. وهي فعلة من: أحصيت. قال طرفة:

وإنّ لِسانَ المَرءِ، ما لَم تكُنْ لَهُ حَصاةٌ، علَى عَوراتِهِ لَدَلِيلُ. ... وإنه لذو معقول أي: ذو عقل. وإنه لذو حجر وذو حجى.

وإنه لذو حصافة. والحصيف: الذي ليس فيه خلل، وهو محكم الأمر. والحصيف. وإنه لذو مرة أي: ذو عقل. وأصل المرة إحكام الفتل. فضربه مثلا. ويقال: حبل ممر، إذا كان شديد الفتل". [كتاب الألفاظ، ص 132].

2.3 ابن قتيبة وانتحال مادة كتاب ابن السكيت:

لابن قتيبة كتاب (أدب الكاتب) منشور في 630 صفحة (شرحه أبو منصور الجواليقي ت 540 هـ)، وهو مقسم إلى أربعة كتب: كتاب المعرفة، وكتاب تقويم اليد، وكتاب تقويم اللسان، وكتاب الأبنية. وهذا مثال مما جاء فيه: "معرفة ما يضعُهُ النَّاسُ في غيرِ موضِعِه: من ذلك أشْفَارُ العَيْنِ يذهب الناس إلى أنها الشَّعرُ النابت على حروف العين، وذلك غلط، إنما الأشفار حروف العين التي ينبت عليها الشعر، والشَّعرُ هو الهُدْب". [أدب الكاتب، ص 21].

شعيب حبيلة معاجم المعاني 2024-2023

سلخ ابن قتيبة أكثر فصول كتابي ابن السكيت: الألفاظ وإصلاح المنطق، مثاله: باب ما جاء مثنى عند ابن السكيت، وباب تأويل ما جاء مثنى في مستعمل الكلام عند ابن قتيبة، ومن أمثلة الباب: الأصمعان: القلب الذكي والرأي العازم، الأصرمان: الذئب والغراب؛ لأنهما انصرما من الناس، أي انقطعا، الرافدان: دجلة والفرات، والحجران: الذهب والفضة، والأسودان: التمر والماء... إلخ.

ملحوظة: أشرنا إلى أن ابن السكيت كان معلما مثل أكثر مؤلفي معاجم المعاني، وأشرنا إلى السبب الرئيس الذي لأجله امتنع ابن قتيبة عن ذكره في كتابه رغم أنه أخذ عنه أكثر مادته، ولم نغفل موقع كتاب ابن قتيبة من كتب الأدب في نص ابن خلدون، كل هذا يراجع مما قيدتموه.

3.3 ابن السكيت مصدرا من مصادر المخصص:

ناقشنا في هذا المبحث جملة مسائل هي:

- ذكر ابن سيدة ابن السكيت في معجمه المخصص في أكثر من ألف وثلاثمائة موضع، ولكن في ذكره هذا نظر من حيث التوثيق والإحالة، مثاله: "ابْن السّكيت، لَا يُقَال لشَيْء من الْحَيَوَان غير الْإِنْسَان حُبْلَى إِلَّا فِي حَدِيث وَاحِد نُهِيَ عَن بيْع حَبَلِ الحَبَلة وَذَلِكَ أَن تكون الْإِبِل حوامل فتبيع حَبَلَ ذَلِك الحَبَل". [المخصص: 45/1]. والصواب أن هذا النص الذي نجده في كتاب الألفاظ نقله ابن السكيت عن أبي عبيدة، أي معمر بن المثنى، وهو من مصادر ابن سيدة.

شعيب حبيلة معاجم المعاني 2024-2023

- ينقل ابن سيدة عن ابن السكيت من غير كتاب الألفاظ، مثال ذلك نقله شاهدا يقول فيه: "وَأَنْشد ابْن السّكيت. تَقول والجُرْدانُ فِيهَا مُكْتَنِعْ أما تخَاف حَبَلاً على تُضُع" [المخصص: 46/1]. والشاهد من إصلاح المنطق لابن السكيت (ص 101).
- يتصرف ابن سيدة في النصوص التي ينقلها عن ابن السكيت تصرفا واضحا، مثاله قوله: "ابْن السّكيت، الطَّلْق وَجَعُ الْولادَة وَقد طُلِقَتْ طَلْقاً" [المخصص: 47/1]. والنص الأصلي من (إصلاح المنطق، ص 13): "والطلق: مصدر طلقت، المرأة تطلق طلقا، وهو وجع الولادة". ومثاله قوله ابن سيدة: "ابْن السّكيت، بَدَّنَ أَسَنَّ وَجَاء فِي الحَدِيث (قد بَدَّنْتُ فَلَا تُبادِرُوني بالركوع والسجودِ)" [المخصص: 65/1]. ونصه من (إصلاح المنطق، ص 234): "ويقال: قد بدن الرجل يبدن بدنا وبدانة، إذا ضخم، فهو بادن، وقد بدن تبدينا إذا أسن وكبر، وهو رجل بدن، إذا كان كبيرا، قال الأسود:

هل لشباب فات من مطلب ... أم ما بكاء البدن الأشيب

وقال آخر:

وكنت خلت الهم والتبدينا ... والشيب مما يذهل القرينا

وفي الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إني قد بدنت فلا تبادروني بالركوع والسجود".

تنسيق حبيلة معجم المعاني 2024-2023